

الوافي في الوفيات

مولده سنة خمس وسبع مائة وتوفي في العشر الأول من جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وسبع مائة سمع القاضي تقي الدين سليمان بن حمزة وأبا بكر بن عبد الدايم وعيسى المطعم وأحمد بن أبي طالب الحجار وأكثر عن محمد الزراد وسعد الدين ابن سعد وعدة وتفقه بالقاضي شمس الدين ابن مسلم وتردد كثيرا إلى العلامة تقي الدين ابن تيمية وأخذ العربية عن أبي العباس الأندرشي وعلق على التسهيل مجلدتين وتأذى بذلك أبو العباس الأندرشي وأخذ بعض القراءات تفقها عن ابن بصخان وحفظ كتبها أرجوزة الحوي في علم الحديث والشاطبية والرائية والمقنع ومختصر ابن الحاجب وعلق على أحاديثه وعمل تراجم الحفاظ وعمل كتاب الأحكام ولم يكمل قيل لي أنه في ثمان مجلدات وله غير ذلك وكان أخيرا قد نزل عن وظائفه بالمدارس ليلازم الأشغال والعمل ولو عمر لكان يكون من أفراد الزمان رأيته يوافق الشيخ جمال الدين المزي ويرد عليه في أسماء الرجال واجتمعت به غير مرة وكنت أسأله أسئلة أدبية وأصولية نحوية فأجده كأنه كان البارحة يراجعها لأستحضاره ما يتعلق بذلك وكان صافي الذهن جيد البحث صحيح النظر موقع الجزيرة محمد بن أحمد بن عبد السيد هو شرف الدين ابن عماد الدين ابن شرف الدين العوفي الجزيري موقع الجزيرة شيخ حسن حلو العبارة فصيحها له نظم ونثر وكتابة حسنة وله على الدولة خدم ومناصب رتب له السلطان على ذلك راتبا أنحنى كبيرا ومشى على عكازة سألته عن مولده فقال في تاسع شهر رمضان سنة خمس وستين وست مائة أنشدني لنفسه كثيرا فمने قوله :

بكت دررا بکیت لها عقیقا ... فصار قلايدا فوق الصدور .

فلم أر مثل أدمعنا عقودا ... نقلن من البحور إلى النحور .

ومنه وقد سكن بين السورين بدمشق :

تبا لساكن جانب النهر الذي ... في جلق فمقام ساكنه عنا .

أن بلت يغتسل الذي تحتي به ... أو بال من فوقی أغتسلت به أنا .

قلت : من قول القايل في شيزر :

النهر أضى كالطبيعة لونه ... من غير ما سقم عراه ولا ضنى .

أخرى فيشر به الذي تحتي كما ... يخرى الذي فوقی فأشر به أنا .

ومنه في غلاية :

ما قبة حمراء أن شئت أن ... تحملها يا سيدي تحمل .

الماء في طاهرها ساكن ... والنار في باطنها تشعل .

الشيخ شمس الدين الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان بن قايمار الشيخ الأمام العلامة الحافظ
شمس الدين أبو عبد الله الذهبي .

حافظ لا يجاري ولا فظ لا يباري اتقن الحديث ورجاله ونظره وأحواله وعرف تراجم الناس
وأزال الأبهام في تواريخهم والألباس من ذهن يتوقد ذكاؤه ويصح إلى الذهب نسبته وانتماؤه
جمع الكثير ونفع الجم الغفير وأكثر من التصنيف ووفر بالأختصار مؤنة التطويل في التأليف
وقف الشيخ كمال الدين ابن الزمكاني C على تاريخه الكبير المسمى بتاريخ الإسلام جزءاً
بعد جزء إلى أن أنهاه مطالعة وقال هذا كتاب علم أجمعت به واخذت عنه وقرأت عليه كثيراً
من تصانيفه ولم أجد عنده جمود المحدثين ولا كودنة النقلة بل هو فقيه النظر له دربة
بأقوال الناس ومذاهب الأئمة من السلف وأرباب المقالات وأعجبتني منه ما يعاينيه في تصانيفه
من أنه لا يتعدى حديثاً يورده حتى يبين ما فيه من ضعف متن أو ظلام أسناد أو طعن في روايته
وهذا لم أر غيره يراعى هذه الفائدة فيما يورده ومن تصانيفه تاريخ الإسلام وقد قرأت عليه
منه المغازي والسيرة النبوية إلى آخر أيام الحسن وجميع الحوادث إلى آخر سنة سبع مائة
وتاريخ النبلاء والدول الإسلامية وطبقات القراء وسماه معرفة القراء الكبار على الطبقات
والأعصار تناولته منه وأجازني روايته وكتبت عليه : .
عليك بهذه الطبقات فأصعد ... إليها بالثنا أن كنت راقياً .
تجدها سبعة من بعد عشر ... كنظم الدر في حسن أتساق .
تجلى عنك ظلمة كل جهل ... به أضى مقالك في وثاق .
فنور الشمس أحسن ما تراه ... إذا ما لاح في السبع الطباق